وإذنْ، فهنا كذلك معمل للعجائب وأرض مقدّسة. وقد كان عليّ أن أنزع نعليّ. ولكنّني خشيت على رجليّ من أنياب الصقيع. فعفوك أيّتها الأرض. عفوك يا منبع الخير والطهر والقداسة. لأنتِ أكرم الأمّهات. ولنحن أعقّ البنين. وأيّ الجود جودك؟ وأيّ الشحّ شحّنا؟ ـ جودك جود القلب نقّته المحبّة وصوّنه الإيمان. وشحّنا شحّ العقل يحتلّه البغض، ويحميه الشكّ، ويقوده الخوف، ويحدوه الحذر. ولولا جودك لما كان لنا وجود. ولولا شحّنا لكنّا ملائكة وفوق الملائكة. تجودين عفو الخاطر وبكلّ ما لديك لكلّ ما عليك ومَن عليك. ولا نجود إلّا مكرهين، وإلّا بمقدار، وإلّا بحساب. ويا ليت ما نجود به كان من خلقنا ومن صنع أيدينا. ولكنّه منك. ونحن إذ نمسكه عن المحتاجين إليه من بنيك إنّما نمسكه عنك. وذلك منتهى البخل ونكران الجميل.

أمّاه، يا أقدس الأمّهات، ويا أخصب العذارى، ويا أحنّ الحاضنات، ويا مرضع النسر والبغاث، والبعوضة والأسد، والبنفسجة والعوسجة، والطود والحصاة، والبحر والساقية، والنحلة والثعبان، والخنفساء والإنسان ـ هوذا رضيع ما سَكِرَ بَعدُ بشيء سكره اليوم بجمالك وجودك ومحبّتك. فهو من أمّ رأسه حتى أخمصيه تسبحة لتحنانك،